مجلة جامعة الأقصى للعلوم الإنسانية، المجلد الخامس والعشرون، العدد الأول ، ص١٣٤-١٦٩، يناير ٢٠٢١
ISSN ٢٥١٨-٥٨١٠

مواقف المنافقين من الدعوة الإسلامية في المدينة على عهد النبي- صلى الله عليه وسلم- (عرض ونقد وتحليل)

د. عبد الكريم فتحي الضاش *

DOI: 10.34065/1262-025-001-006

الملخص

تناول هذا البحث مواقف المنافقين من الأعمال والأحداث والوقائع التي جرت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، من حيث جمعها في بحث واحد، ثم نقدها وتحليلها وصولاً إلى الاستفادة منها في الوقت الحاضر، والذي تعاني فيه الأمة من تآمر الصهاينة والصليبيين على أمة الإسلام، فيأتي الدور الخطير للمنافقين وهو نفسه يتكرر كما في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

جمع الباحث في هذه الورقات مواقف المنافقين بعد غزوة بدر وكيف بدأت تظهر ظاهرة النفاق، وموقفهم يوم أحد وخذلان المسلمين، وموقفهم يوم الأحزاب وكيف ظهر ضعف إيمانهم بالله عز وجل، وفي بني المصطلق لم يرق لهم الانتصار فأوقعوا الفتنة والشقاق بين ذات المؤمنين، ويوم تبوك بان كذبهم في اختلاق الأعذار للنبي صلى الله عليه وسلم، وكان وضوح نفاقهم في عدم انتمائهم للإسلام وولائهم للنبي صلى الله عليه وسلم، في غزواته عليه -الصلاة والسلام- مع اليهود حيث وقفوا بجانبهم ضد المسلمين.

وقد راعى الباحث ما أمكن قواعد المحدثين في روايات السيرة النبوية وهو ما يعرف بالنقد الحديثي، وقد هدف البحث إلى تحذير المؤمنين من صفات المنافقين ولأجل هذا فصلها لنا الله عز وجل في كتابه العزيز، فكانت الدروس والعبر بعد كل موقف من مواقف المنافقين لخدمة هذا الهدف العظيم.

Hypocrites Behaviours towards the Islamic Call in the prophet's era (Presentation, Criticism, and analysis)

Abstract

This research addresses the positions of the hypocrites regarding the actions, events, and facts that took place in the life of the Prophet, may God bless him and grant him peace. The researcher collected all the positions of hypocrites in this study to criticize and analyze them in light of the modern age. In the time which the nation suffers from the conspiracy of the Zionists and the Crusaders against the Nation of Islam. The dangerous role of the hypocrites appears, and it is repeated as it was in the life of the Messenger of God, may God bless him and grant him peace.

In these papers, the researcher collected the positions of the hypocrites in the Muslims' battles: after Badr and how hypocrisy began to appear; their position to let Muslims down on Uhud and Al-Ahzab. Also, how their weak belief in God Almighty appeared on Bani al-Mustlaq they did not live up to their victory, and they inflicted strife and discord among the same believers, and on the day of Tabuk, their lies in fabricating excuses for the Prophet, peace and blessings be upon him. The clarity of their hypocrisy was their lack of affiliation with Islam and their loyalty to the Prophet, peace and blessings be upon him, in his forays against him - peace and blessings - with the Jews as they stood beside them against Muslims.

The researcher has considered the possible rules of the modernists in the narrations of the Prophet's biography, which is known as modern criticism. The research aimed to warn the believers of the characteristics of the hypocrites, and for this was separated by God Almighty in his dear book, so the lessons were after every position of the hypocrites to serve this great goal.

* قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأقصى، غزة، فلسطين.

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: يتناول هذا البحث بعض مواقف المنافقين ضد الإسلام والمسلمين في المدينة على عهد رسول الله وقد سميته **(مواقف المنافقين من الدعوة الإسلامية في المدينة على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم– عرض ونقد وتحليل)** وذلك بهدف التعرف على سلوك وأقوال وأفعال المنافقين فنحذر منها، حيث جاء النهي صريحاً عن الاتصاف بصفات المنافقين قولاً وفعلاً في قوله تعالى: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ]** {آل عمران:١٥٦} ، وجاء التحذير من الوقوع في صفات المنافقين تعريضاً في قوله عز وجل **[المُنَافِقُونَ وَالمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ المُنَافِقِينَ هُمُ الفَاسِقُونَ]** {التوبة:٦٧} فوصفهم بأنهم يأمرون المنكر ولا يحبون المعروف، لذلك فليحذر المؤمن الصادق من الوقوع في ذلك، فإن صدر منه شيء من النفاق سواء قولاً أو عملاً فلا بد أن يصدق الله ويصدق القيادة المسلمة حتى لا يقع في النفاق.

ولقد وقع الاختيار على هذا العنوان من باب معرفة الشر وتجنبه، من باب قول سيدنا حذيفة بن اليمان– رضي الله عنه–:(**كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي....)**[1]، فإني بإذن الله سأذكر شر المنافقين حتى نحذر منه والقارئ الكريم.

ويأتي البحث انسجامًا مع التجديد في عرض السيرة النبوية بما يتوافق مع حاجات العصر مع المحافظة على الأصل القديم، أما بالنسبة للمصادر فقدمت القرآن وكتب التفسير بالمأثور التي تبين لنا مراد الله تعالى، ثم عمدت إلى كتب السنة كالصحيحين وغيرهما وشروح هذه الكتب كفتح الباري وشرح النووي على مسلم، وقد استفدت من كتب التاريخ كتاريخ المدينة لابن شبة، والبداية والنهاية لابن كثير، وتاريخ الإسلام للذهبي، ولم أغفل كتب المعاصرين كالسيرة النبوية الصحيحة للدكتور

(١) صحيح البخاري: ٣٦٠٦/١٩٩/٤.

أكرم ضياء العمري، والسيرة النبوية للدكتور علي الصلابي، وفقه السيرة للإمام الغزالي.

وأما بالنسبة للعرض، فلما جمعت المادة العلمية عمدت إلى كتب السيرة وكتب السنة أقرأ فيها المعارك والغزوات وأستخرج منها مواقف المنافقين إن وجدت، وغالب مواقفهم المخزية كانت في الغزوات لأنها أصعب الأوقات وفيها تعرف الرجال.

وقد جدد الباحث عرض الأحداث بما يتوافق مع متطلبات العصر الحديث، ومع ذلك حافظت على المصادر الأصلية، حيث استشهد الباحث كثيرًا بالقرآن الكريم الذي فضح مواقف المنافقين، وكذلك أكثر من النقل عن كتب التفسير بالمأثور الذي هو بيان لكتاب الله –عز وجل–، ومن كتب المتون وقدمت منها ما ورد في الصحيحين، ثم ما ورد في السنة المقبولة، وتجنبت الخبر الضعيف ما استعطت إلى لك سبيلًا؛ وإذا استأنست به –لفائدةٍ لا تتعلق بالأحكام ولا بالعقائد– فإني بينته، ثم عمدت إلى كتب السيرة الأصلية والقديمة، ولم أهمل كتب التاريخ وخاصةً التاريخ الإسلامي، واستفدت من المتأخرين الذين صنفوا في السيرة، وكذلك من المعاصرين.

وأما بالنسبة للنقد فقد اعتمدت الأخبار الصحيحة والحسنة منها ولم أستشهد بالضعيف إلا قليلاً وذلك لفائدة مهمة ولا تتعلق هذه الفائدة بالأحكام أو العقائد، ومع ذلك فإني أبين هذا الضعف وهو مما يتساهل فيه.

وأما بالنسبة للتحليل فقد اهتم الباحث بالدروس المستفادة والعبر حتى يستفيد منها المسلم في الواقع الحالي، فكثير من صفات المنافقين موجودة عند التيار العلماني في زماننا هذا ومع ذلك يقع فيها كثير من المسلمين، فالمسلم الفطن عليه أن يقارن بين منهج المنافقين قديماً وحديثاً وفيه تشابه كبير مع الاختلاف في الأسماء فقط.

وقد صنفت مصنفات كثيرة في مسألة النفاق منها القديمة مثل: صفة النفاق ونعت المنافقين لأبي نعيم الأصبهاني والتي اقتصرت على روايات المنافقين، ومنها كتيبات صغيرة، ومنها رسائل ماجستير ودكتوراه، ومنها كتب ألفت في ظلال كتب التفسير.

وقد تم جمع مادة هذا البحث غالباً من كتب السيرة النبوية واستخراج ما فيها من العبر والدروس.

وقد جاء البحث في مقدمة وخاتمة وثمانية مباحث على النحو التالي:

المقدمة:

المبحث الأول: موقف المنافقين من الدعوة الإسلامية في المدينة:

المبحث الثاني: موقف المنافقين في غزوة بدر:

المبحث الثالث: موقف المنافقين في غزو يهود بني قينقاع:
المبحث الرابع: موقف المنافقين في غزوة أحد:
المبحث الخامس: موقف المنافقين من غزو يهود بني النضير:
المبحث السادس: موقف المنافقين في غزوة بني المصطلق:
المبحث السابع: موقف المنافقين في غزوة الأحزاب:
المبحث الثامن: موقف المنافقين في غزوة تبوك:
الخاتمة:
المراجع:

التمهيد: المعنى اللغوي والاصطلاحي للنفاق:

المعنى اللغوي للنفاق:

تعود كلمة (نَفَقَ) في أصلها اللغوي إلى عدة معاني منها: انقطاع شيء وذهابه، مثل نفقت الدابة نفوقاً: ماتت، ونفق السعر نفاقاً، وذلك أنه يمضي فلا يكسد ولا يقف، ونفق الشيء: فَنَيَ يقال قد نفقت نفقة القوم.

ومنها: إخفاء شيء وإغماضه، مثل سرب في الأرض له منفذ إلى مكان. والنافقاء: موضع يرققه اليربوع من جحره فإذا أتي من قبل الباب ضرب النافقاء برأسه فانتفق، أي خرج، ومنه اشتقاق النفاق، لأن صاحبه يكتم خلاف ما يظهر، فكأن الإيمان يخرج منه، أو يخرج هو من الإيمان في خفاء،[٢] ويشبه ذلك ما فعل منافقو يهود على عهد رسول الله كما وصفهم الله تعالى: **[وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ]** {المائدة:٦١} أي أنهم مثل نفق اليربوع دخلوا بالكفر من النفق وخرجوا من المنفذ الآخر أيضاً بالكفر، قال ابن جرير الطبري: "قد دخلوا عليكم بكفرهم الذي يعتقدونه بقلوبهم ويُضمرونه في صدورهم، وهم يبدون كذبًا التصديق لكم بألسنتهم "**وقد خرجوا به**"، أي: قد خرجوا بالكفر من عندكم كما دخلوا به عليكم، لم يرجعوا بمجيئهم إليكم عن كفرهم وضلالتهم، يظنون أن ذلك من فعلهم يخفى على الله، جهلا منهم بالله ..."[٣].

وقال ابن حجر: "والنفاق لغة مخالفة الباطن للظاهر فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر وإلا فهو نفاق العمل ويدخل فيه الفعل والترك وتتفاوت مراتبه"[٤].

وقال ابن منظور: "ومنه: نفق اليربوع تنفيقا ونافق أي دخل في نافقائه، ومنه اشتقاق المنافق في الدين. والنفاق، بالكسر، فعل المنافق. والنفاق: الدخول في الإسلام من وجه والخروج عنه من آخر، مشتق من نافقاء اليربوع إسلامية، وقد نافق منافقة ونفاقا"[٥].

وقال ابن رجب: "النفاق في اللغة هو من جنس الخداع والمكر وإظهار الخير وإبطان خلافه"[٦].

---

(٢) انظر مقاييس اللغة لابن فارس: ٤٥٤/٥.

(٣) تفسير الطبري: ١٠/ ٤٤٤.

(٤) فتح الباري لابن حجر: ١/ ٨٩.

(٥) لسان العرب لابن منظور: ٣٥٩/١٠.

(٦) جامع العلوم والحكم: ٢/ ٤٨١.

المعنى الاصطلاحي:

قال ابن الأثير: "النفاق اسم إسلامي، لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه، وإن كان أصله في اللغة معروفا. يقال: نافق ينافق منافقة ونفاقا، وهو مأخوذ من النافقاء: أحد جحرة اليربوع، إذا طلب من واحد هرب إلى الآخر، وخرج منه. وقيل: هو من النفق: وهو السرب الذي يستتر فيه، لستره كفره"(٧)، ثم أورد جملة من الأحاديث استدل بها على المعنى اللغوي.

من خلال ما سبق يمكن تعريف النفاق شرعاً: بأنه إظهار الإسلام باللسان وإخفاء الكفر في القلب.

قال تعالى: **(يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما يَكْتُمُونَ)** (آل عمران:١٦٧).

قال ابن رجب: النفاق في الشرع ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: النفاق الأكبر، وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم –، ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار.

والثاني: النفاق الأصغر، وهو نفاق العمل، وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة، ويبطن ما يخالف ذلك (٨).

وقد جاء هذا التقسيم في حديث النبي –صلى الله عليه وسلم– حيث قال:" **أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**"(٩).

- **المبحث الأول: موقف المنافقين من الدعوة الإسلامية في المدينة:**

بدأ خطر حركة النفاق في المدينة في وقت مبكر، حيث كان الأوس والخزرج سينصبون ابن سلول ملكاً على المدينة، فلما جاء النبي– صلى الله عليه وسلم – بالحق وأعز أهل المدينة بالإسلام، أفسد ذلك على ابن سلول ما أراد فحمل على النبي– صلى الله عليه وسلم– حملاً شديداً وبدأ بكيد المؤامرات ضد الدعوة الإسلامية، لما أراد رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أن يَعُودَ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ

(٧) النهاية في غريب الحديث: ٥/ ٩٨.

(٨) جامع العلوم والحكم: ٢/ ٤٨١.

(٩) صحيح البخاري: ١/ ٣٤/١٦.

قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ ابْنُ سَلُولَ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ، وفِي المَجْلِسِ أَخْلاَطٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَاليَهُودِ وَالمُسْلِمِينَ، وَفِيهم عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَلَمَّا غَشِيَتِ المَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ، خَمَّرَ ابن سلول أَنْفَهُ بِرِدَائِه، ثُمَّ قَالَ: لاَ تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا، فَسَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ القُرْآنَ، فَقَالَ ابْنُ سَلُولَ: أَيُّهَا المَرْءُ إِنَّهُ لاَ أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ، إِنْ كَانَ حَقًّا فَلاَ تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجْلِسِنَا، ارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَاغْشَنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ، فَاسْتَبَّ المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ وَاليَهُودُ، حَتَّى كَادُوا يَتَثَاوَرُونَ(١٠)، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَفِّضُهُمْ(١١) حَتَّى سَكَنُوا، ... فَلَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَدْرًا، فَقَتَلَ اللَّهُ بِهِ صَنَادِيدَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، قَالَ ابْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُشْرِكِينَ وَعَبَدَةِ الأَوْثَانِ: هَذَا أَمْرٌ قَدْ تَوَجَّهَ، فَبَايَعُوا الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الإِسْلاَمِ فَأَسْلَمُوا(١٢).

يظهر من القصة كيد المنافقين وعداءهم للنبي– صلى الله عليه وسلم– من الأيام الأولى للدعوة الإسلامية في المدينة، وذلك لمطامع دنيوية كان يريدها ابن سلول من وراء تنصيبه ملكاً على المدينة.

الفوائد والعبر:

١. بيان اتفاق المنافقين مع اليهود وكثرة مجالستهم، والتدبير معهم في سبيل الصد عن سبيل الله.
٢. في تخمير ابن سلول أنفه التكبر على النبي– صلى الله عليه وسلم –، وهذا دأب المنافقين التكبر على الدعاة، والتعالي على الحق.
٣. وكذلك في قوله (لا تغبروا علينا) بيان حقد ابن سلول الذي دفعه أن يتطاول على النبي– صلى الله عليه وسلم– بمجرد الغبار من الدابة، فلو أن هذا المنافق هو الذي مر على بعير له ألا يغبر بدابته على الناس، ولكنه دأب اعداء الدعوة الإسلامية في كل مكان وزمان يصطادون الأخطاء للدعاة.
٤. فيه كراهية المنافقين سماع القرآن والتصدي لدعوة النبي– صلى الله عليه وسلم– والتشويش، وفي أيامنا هذه نرى الإعلام الفاسد، والمضاد للدعوة الإسلامية تشوش على أصوات الدعاة وصدق

---

(١٠) يَتَثَاوَرُونَ: أي قربوا أن يتثاوروا بِقِتَال وَهُوَ من ثار بالثاء الْمُثَلَّثَة يثور إذا قَامَ بِسُرْعَة وإزعاج.
(١١) يُخَفِّضُهُمْ: أي يسكِّنُهم.
(١٢) صحيح البخاري: ٤٥٦٦/٣٩/٦.

العلي العظيم وهو يقول: **[إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ]** {آل عمران:٢١}.

٥.فيه حرص المنافقين على الدنيا وعلى المناصب حتى لو كان ذلك على حساب الدعوة إلى الله.

٦.فيه تحمل الداعية وصبره على أذى المنافقين، كما فعل النبي – صلى الله عليه وسلم –.

٧.فيه إظهار المنافقين إسلامهم بعد أن نصر الله نبيه – صلى الله عليه وسلم – على المشركين في بدر، وإذا رأوا قوة الحق دخلوا فيه ليدبروا المؤامرات له داخلياً.

- **المبحث الثاني: موقف المنافقين في غزوة بدر:**

لقد كان للمنافقين موقفين في غزوة بدر موقف قبيل الغزوة وموقف بعد الغزوة.

أولاً: تآمرهم مع قريش وتحريضهم على قتال المسلمين: حيث كانت قريش تبحث عن حليف لها فكان ابن سلول الأرض الخصبة لذلك فقد كتبت إليه قريش قبيل بدر: إِنَّكُمْ آوَيْتُمْ صَاحِبَنَا، وَإِنَّا نُقْسِمُ بِاللَّهِ لَتُقَاتِلُنَّهُ، أَوْ لَتُخْرِجُنَّهُ أَوْ لَنَسِيرَنَّ إِلَيْكُمْ بِأَجْمَعِنَا حَتَّى نَقْتُلَ مُقَاتِلَتَكُمْ، وَنَسْتَبِيحَ نِسَاءَكُمْ، فَلَمَّا بَلَغَه ذَلِكَ اجْتَمَعُوا لِقِتَالِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم– لَقِيَهُمْ، فَقَالَ: "لَقَدْ بَلَغَ وَعِيدُ قُرَيْشٍ مِنْكُمُ الْمَبَالِغَ، مَا كَانَتْ تَكِيدُكُمْ بِأَكْثَرَ مِمَّا تُرِيدُونَ أَنْ تَكِيدُوا بِهِ أَنْفُسَكُمْ، تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا أَبْنَاءَكُمْ، وَإِخْوَانَكُمْ" فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– تَفَرَّقُوا(١٣).

من خلال ما سبق فإن المنافقين دفعتهم أحقادهم للاستجابة الفورية والعملية لدعوى كفار مكة وقتال المسلمين، وهموا بذلك لولا أن الله أطفأ نار هذه الحرب.

ثانياً: التميز من الغيظ من انتصار المسلمين: وقد صرح بذلك القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى: **[إِذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ]** {الأنفال:٤٩}

قال الغزالي: وقد كان الناقمون والمتربّصون يصفون المسلمين بالغرور، غير أنّ هذه الكراهية اختفت أمدا بعد انتصار (بدر) بل لعلّ هذا النصر أغرى جمهوراً من الضعاف والمترددين بالانضواء تحت

---

(١٣) سنن أبي داود: ٣٠٠٤/١٥٦/٣، أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه (٩٧٣٣/٣٥٨/٥) ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى (١٨٨٥٥/٣٨٨/٩) عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ورواته كلهم أئمة ثقات، فالإسناد صحيح، وإبهام الصحابي لا يضر لأن الصحابة كلهم عدول، والذي روى عن رجل من الصحابة هذا الحديث تابعي جليل هو عبد الرحمن ابن الصحابي الجليل هو: كعب بن مالك.

علم الدّين الجديد[١٤]، وهذا جاء صريحاً في حديث أسامة ابن زيد (... فَلَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَدْرًا، فَقَتَلَ اللَّهُ بِهِ صَنَادِيدَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، قَالَ ابْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَعَبَدَةِ الأَوْثَانِ: هَذَا أَمْرٌ قَدْ تَوَجَّهَ، فَبَايَعُوا الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الإِسْلاَمِ فَأَسْلَمُوا)[١٥]، وهذا أخطر لأنهم أصبحوا بعد ذلك محسوبين على الإسلام، ويدبرون المكائد في عمق الصف المؤمن، بل ويزعزعون معنويات الجيش المسلم، وينشرون الخذلان في الصفوف، وقد فعلوا ذلك يوم أحد فرجعوا من الطريق بثلث الجيش، وفعلوا ذلك يوم الخندق، ويوم تبوك.

الفوائد والعبر:

١.إن المنافقين يستخدمون كل الوسائل للحرب ضد الدعوة إلى الله، فمن ذلك الحرب الإعلامية، والحرب الاقتصادية، والحرب النفسية، والحرب العسكرية والغدر والقتل حتى يثنوا الدعاة عن طريق الحق، وطريق الأنبياء – صلوات الله عليهم – وقد قال ورقة للنبي –صلى الله عليه وسلم–:" لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا....[١٦].

٢.يدرك صلى الله عليه وسلم أغوار النفس البشرية التي يتعامل معها، فخاطبهم خطاباً عاطفياً قضى من خلاله على هذه الفتنة في مهدها، وضرب على وتر العزة القبلية، ولذلك كان خطابه مؤثراً في نفوس مشركي يثرب، ونحن بحاجة إلى هذا الفقه العظيم في تفتيت محاولات المشركين للقضاء على الصف الإسلامي وزعزعة بنيانه الداخلي[١٧]، فعلى الداعية والقائد أن يستخدم كل الطرق لحماية الصف المسلم.

٣.إن المنافقين يحاولون دائماً إحباط المجتمع المسلم، والتثبيط من همة الجيش المؤمن بقولهم [**غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ**] {الأنفال:٤٩} ؛ فهذا ديدنهم في كل زمان هم ومن تشبه بهم من ضعاف الإيمان، الذين قعدوا عن الجهاد ومقارعة أعداء الأمة، فالمؤمن لا يلتفت إلى تلك الأقوال بل يمضي في طريقه متوكلاً على ربه عز وجل مسترشداً بقوله تعالى **[وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ]** {الأنفال:١٠}.

٤.إن أعداء الإسلام الظاهرين الخارجيين يعرفهم الجميع فيأمن من خطرهم، وأما العدو الخطير

---

(١٤) فقه السيرة للغزالي: ص ٢٨٢.

(١٥) صحيح البخاري: ٤٥٦٦/٣٩/٦.

(١٦) صحيح البخاري: ٣/٧/١.

(١٧) السِّيرةُ النّبوية للصلابي: ٣٦٣/١.

والحقيقي هم الذين يكونون في داخل الصف المؤمن سواء في السلم أو الحرب والله عز وجل قال لنبيه عن المنافقين: **[هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ]** {المنافقون:٤} .

٥.ممّا يجب الالتفات إليه أن تكون استخبارات الدولة المسلمة قوية نابهة، وتضع أمثال هؤلاء المنافقين المشكوك في أمرهم تحت عين المراقبة والمتابعة حتى لا تأتيَ الدولةَ يدُ الغدر من الخارج والداخل دون أن تدري.

- **المبحث الثالث: موقف المنافقين في غزوة بني قينقاع:**

إن يهود بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله –صلى الله عليه وسلم عليه– وحاربوا فيما بين بدر وأحد فحاصرهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– حتى نزلوا على حكمه، فقام إليه ابن سلول حين أمكنه الله منهم فقال: يا محمد أحسن في موالي، وكانوا حلفاء الخزرج، فأبطأ عنه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال: يا محمد أحسن في موالي، فأعرض عنه رسول الله، فأدخل يده في جيب درع رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فغضب رسول الله، ثم قال: أرسلني: فقال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي، أربع مائة حاسر وثلاثمائة دارع منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غواة واحدة، إني والله أمرؤٌ أخشى الدوائر، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: هم لك.

وقال ابن إسحاق: حدثني أبي اسحاق بن يسار عن عبادة ابن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: لما حاربت بنو قينقاع تشبث بأمرهم عبد الله ابن أبي بن سلول وقام دونهم ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أحد بني عوف بن الخزرج، ولهم من حلفه مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي فخلعهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم فقال: يا رسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم، قال: ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت القصة في المائدة: «**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارى أَوْلِياءَ**» إلى قوله: «**فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسارِعُونَ فِيهِمْ**» يعني ابن سلول لقوله: أخشى الدوائر «**يَقُولُونَ نَخْشى أَنْ تُصِيبَنا دائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ**» إلى قوله: «**وَهُمْ راكِعُونَ**» وذلك لقول عبادة بن الصامت: أتولى الله ورسوله وأبرأ من بني

قينقاع من حلفهم وولايتهم. «وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ(١٨).

الفوائد والعبر:

١.فيه بيان حب المنافقين لليهود خاصةً، وموالاتهم، وهذا دليل على ضعف الإيمان، وأنهم ما زالوا مقتنعين بالكفر ولم يدخلوا الإسلام عن قناعة.

٢.أن المنافقين يخافون على مصالحهم ولو على حساب الدين والدعوة الإسلامية بقولهم (**نخشى أن تصيبنا دائرة**).

٣.فيه بيان أن المؤمن الصادق لا تهمه مصالحه الشخصية وهو على استعداد أن يضحي بكل ما يملك من أجل الإسلام، وهذا من تمكن الإيمان منه فخالط بشاشة قلوبهم.

٤.فيه أن كل القوى إلى زوال ولا يبقى إلا الله الواحد القهار، ولذلك المؤمن يعتقد هذا فلا يضره شيء ولا يخشى من شيء، وأما المنافق فهو على قناعة أن القوى التي يتولاها باقية ودائمة، وإن شعر أنها إلى زوال حاول بكل ما يملك المحافظة على بقائها.

٥.فيه السياسة الشرعية من النبي صلى الله عليه وسلم، وترك الزمن لفضح موقف المنافقين؛ إذ هم في الصورة الظاهرة أمام المسلمين مسلمون عاديّون، لكنهم في الحقيقة أخطر من الكافرين أنفسِهم، والقائد الناجح الموفق من شأنه أن يكون مشاهدًا الأحداث من علٍ ليتعامل معها بدقة واستشراف مستقبل.

- **المبحث الرابع: موقف المنافقين في غزوة أحد:**

أولاً: قبيل الغزوة الجبن والقعود عن الجهاد: كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يشاور أصحابه بالبقاء والقتال في المدينة أو القتال خارجها، فكان رأي ابن سلول رأي الجبان الذي يخاف لقاء الأعداء ويريد أن ينتظر الأعداء داخل المدينة؛ وذلك عندما قَالَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ –مِمَّنْ أَكْرَمَهُمُ اللهُ بِالشَّهَادَةِ يَوْمَ أُحُدٍ–، وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ كَانَ فَاتَهُ يَوْمُ بَدْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، اخْرُجْ بِنَا إِلَى أَعْدَائِنَا، لَا يَرَوْنَ أَنَّا جَبُنَّا عَنْهُمْ، فَقَالَ ابن سلول: أَقِمْ بِالْمَدِينَةِ وَلَا تَخْرُجْ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ حُبُّ لِقَاءِ الْقَوْمِ، حَتَّى دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: اسْتَكْرَهْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَنَا ذَلِكَ، فَإِنْ شِئْتَ فَاقْعُدْ صَلَّى

(١٨) سيرة ابن إسحاق: ص ٣١٤، ٣١٥، وقد صرح فيه ابن إسحاق بالسماع فقال: حدثني أبي اسحاق بن يسار عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن عبادة بن الصامت، ورواته ثقات فالإسناد حسن لذاته لأن ابن إسحاق صدوق حسن الحديث يدلس وقد صرح بالسماع في هذا الحديث.

عَلَيْكَ الله، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا يَنْبَغِي لِلنَّبِيِّ إِذَا لَبِسَ لَأْمَتَهُ[١٩] أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ ...[٢٠].

ثانياً: السير إلى موقع أحد: خذل ابن سلول المسلمين ورجع بثلث الجيش وذلك لإحداث الاضطراب الإرباك في هذا الجيش، وكان تبريرهم بأنهم **[قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ]** {آل عمران:١٦٧} قال الطبري: لما رجع ابن سلول المنافق وأصحابه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه، حين سار إلى أحد، فقال لهم المسلمون: تعالوا قاتلوا المشركين معنا، أو ادفعوا بتكثيركم سوادنا! فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم إليهم، ولكنا معكم عليهم، ولكن لا نرى أنه يكون بينكم وبين القوم قتالٌ! فأبدوْا من نفاق أنفسهم ما كانوا يكتمونه، وقد خرج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ فِي أَلْفِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالشَّوْطِ[٢١] بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَأُحُدٍ انْخَذَلَ عَنْهُ ابن سلول الْمُنَافِقُ بِثُلُثِ النَّاسِ، فَرَجَعَ بِمَنِ اتَّبَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ أَهْلِ الرَّيْبِ وَالنِّفَاقِ[٢٢]، زاد الطبري: واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بني سلمة –والد جابر– يقول: يا قوم، أذكّركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوّهم! فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم، ولكنا لا نرى أن يكون قتال، فلما استعصوا عليه وأبوْا إلا الانصراف عنهم، قال: أبعدَكم

---

(١٩) اللأمة: لباس الحرب وأدواته (انظر النهاية في غريب الحديث: ٢٢٠/٤).

(٢٠) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٢٤) قال الإمام البيهقي: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّه الْحَافِظُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ: مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ، قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ، وعاصم بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، ومحمد بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ، والْحُصَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ عُلَمَائِنَا، كُلٌّ قَدْ حَدَّثَ بَعْضَ الْحَدِيثِ عَنْ يَوْمِ أُحُدٍ، وَقَدِ اجْتَمَعَ حَدِيثُهُمْ فِيمَا سُقْتُ، قَالُوا: لَمَّا أُصِيبَتْ قُرَيْشٌ يَوْمَ بَدْرٍ وَرَجَعَ ...وإسناده رواته ثقات، غير ابن إسحاق صدوق يدلس وقد صرح بالسماع، ويونس بن بكير صدوق يخطئ (تقريب التهذيب: ٦١٣) وقد تابعه سلمة بن الفضل الأبرش في ابن إسحاق متابعةً تامةً كما عند الطبري في التفسير(٨١٩/٣٧٩/٧)، وأحمد بن عبد الجبار العطاردي ضعيف وسماعه للسيرة صحيح (التقريب:٨١) وقال بشار معروف وشعيب الأرنؤوط: بل صدوق حسن الحديث ربما خالف (تحرير التقريب: ٦٤/٦٧/١) قلت: ومع ذلك فحديثه في السيرة مقبول فهذا يخرجنا من اختلاف العلماء في رتبته، ويطمئن النفس أكثر في روايته للسيرة، فإسناد الحديث حسن.

(٢١) شَوْطٌ: بالفتح ثم السكون ثم طاء، والشوط مكان بين شرفين من الأرض يأخذ فيه الماء، وجمعه شياط، ودخوله في الأرض أن يواري البعير وراكبه، ولا يكون إلا في سهول الأرض (معجم البلدان: ٣٧٢/٣).

(٢٢) السنن الكبرى للبيهقي: ٩/ ١٧٨٦٠/٥٤ ، وإسناده حسن سبقت دراسته (ص ١٤).

الله يا أعداء الله، فسيُغني الله عنكم[٢٣]، فقد برر المنافقون عدم خروجهم للقتال بعدم رؤيتهم للقتال، ولا يلوح في الأفق قتال بين الجيشين، كيف يقولون ذلك؟ وكيف عرفوا ذلك؟ هل أعلمهم الله الغيب؛ ونبيه –صلى الله عليه وسلم– بين أظهرهم؟ كلا والله إنه الخلود إلى الدنيا، وإنه الكفر الذي في قلوبهم**[هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ]** {آل عمران:١٦٧}، فهم يتمنون الهزيمة الساحقة للمؤمنين، فإنهم كاذبون يخادعون المؤمنين والله خادعهم، وقال ابن كثير:يَعْنِي أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ فِي قَوْلِهِمْ: لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ، وَذَلِكَ لِأَنَّ وُقُوعَ الْقِتَالِ أَمْرُهُ ظَاهِرٌ بَيِّنٌ وَاضِحٌ لَا خَفَاءَ وَلَا شَكَّ فِيهِ[٢٤].

ثالثاً: الشماتة بمصاب المؤمنين: فبعد المصاب الجلل الذي أصاب المؤمنين ظهرت الشماتة في مواقفهم مع المؤمنين، بحجة أن الجيش لم يستمع لنصحهم، ولم يطيعوه، فكيف يكون ذلك، وقد كانوا يزعمون أنه لن يحدث قتال، لكنه التلون في المواقف صفة ملازمة لهؤلاء المنافقين، فإن حدث قتال زعموا أنه شر، وإن لم يحدث قتال زعموا أنه جبن، إنها صفات بني إسرائيل، قال تعالى: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ]** {آل عمران:١٥٦} ، قال ابن هشام: أَيْ لَا تَكُونُوا كَالْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَنْهَوْنَ إخْوَانَهُمْ عَنْ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالضَّرْبِ فِي الْأَرْضِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَقُولُونَ إذَا مَاتُوا أَوْ قُتِلُوا: لَوْ أَطَاعُونَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا **[لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ]** {آل عمران:١٥٦} لِقِلَّةِ الْيَقِينِ بِرَبِّهِمْ، **[وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ]** {آل عمران:١٥٦} أَيْ يُعَجِّلُ مَا يَشَاءُ وَيُؤَخِّرُ مَا يَشَاءُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ آجَالِهِمْ بِقُدْرَتِهِ[٢٥].

الفوائد والعبر:

١. إن المنافقين لا يفقهون معنى التوكل على الله وفضل القتل في سبيل الله فلو أنهم فقهوا معنى التوكل على الله ما قالوا كلمة الكفر هذه التي تعتبر من نواقض الإيمان إذ أنها تناقض ركناً من أركان الإيمان وهو ركن الإيمان بالقدر خيره وشره، ورد الله عليهم فقال: **[إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي**

---

(٢٣) تفسير الطبري: ٨١٩٣/٣٧٨/٧، وإسناده حسن سبقت دراسته في رواية البيهقي انظر: ص ١٣.

(٢٤) البداية والنهاية ط الفكر: ١٤/٤.

(٢٥) سيرة ابن هشام: ١١٦/٢.

بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ] {آل عمران:١٥٤} .

٢. فيه خطورة النفاق على المجتمع المسلم من الداخل وتثبيط الصف المؤمن عن الجهاد في سبيل الله وأي تثبيط هذا مثل أن يرجع المنافقون بثلث الجيش من غزوة.

٣. فيه بيان جبن المنافقين وكرههم للقتال في سبيل الله وحب الخلود إلى الأرض، فالمؤمن يصيبه الخوف من لقاء العدو لكن هذا الخوف لا يحمله على الفرار من قتال الأعداء ولذلك ثبت الصحابة يوم الخندق وأحدهم يخاف ان يقضي حاجته، وأما المنافق فيحمله جبنه على الفرار من العدو.

٤. فيه تحذير للمؤمنين من الوقوع في أخلاق المنافقين وأعمالهم وسلوكهم وذلك في قوله تعالى: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا ...]** {آل عمران:١٥٦} فلا ينبغي للمؤمنين أن يتصفوا بهذه الصفة وأن يعترضوا إذا ما نزلت مصيبة أو ابتلاء بهم وخاصةً إذا كان قتل وشهادة في سبيل الله فعليهم أن يقولوا: **[إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ]** {البقرة:١٥٦}، فهذه السنة.

٥. وفيه استخدام الأسلوب التبريري الذي يكثر منه المنافقون؛ هذا الأسلوب الذي استخدمه إبليس– لعنه الله– لما رفض السجود لآدم –عليه السلام–، فالمنافقون يفرحون بتخلفهم عن الغزوة، ويقولون للصحابة الذين ثبتوا مع نبينا –صلى الله عليه وسلم–: لو رجعتم معنا لكنتم من الفائزين ولكن هيهات هيهات أي فوزٍ هذا بالتخلف عن الجهاد في سبيل الله؛ بل أي فوزٍ هذا الذي يكافئ فوز الشهادة في سبيل الله وصدق الله إذ قال: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا]** {النساء:٧١} **[وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا]** {النساء:٧٢} **[وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا]** {النساء:٧٣}، وقد أكثر المنافقون من استخدام هذا الأسلوب وهو أسلوب لا يستخدمه إلا ضعاف الإيمان الذي لم يخالط الإيمان بشاشة قلوبهم؛ بل هؤلاء هم الذين أسلموا بألسنتهم دون قلوبهم وصدق النبي –صلى الله عليه وسلم– إذ يقول: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ

يَتَّبِعُ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»[٢٦]، وقد استخدموا هذا الأسلوب بكثرةٍ يوم غزوة تبوك وسيأتي بيانه.

٦. وجود توافق بين رأس المنافقين ورأي البقاء في المدينة لا تجوز قراءته في سياق الاختيار الخاصّ؛ بل إنه ينبغي النظر إلى أعماله وأفكاره وعلاقاته وأحواله السابقة والقياس عليها، وقد كان رأيه هذا جبنًا وخوفًا ليس إلا، وهنا ينبغي إنعام النظر وعدم التنظير لهؤلاء المنافقين بأنهم في إطار دعوتنا ورغبة قيادتنا بل يُتجاهلون في مثل هذه المواقف مع إظهار توق الشباب للجهاد والتركيز على بعد القتال ضد الأعداء إجمالا.

٧. "ما ينبغي للنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل" درسٌ في العزم وعدم التردّد وخصوصًا في القتال، وهو فضحٌ ضمنيٌّ للمنافقين الذين يعتدّون بآرائهم ويستحقرون غيرهم، ويشعرون بالتمايز عن القيادة المسلمة وأتباعها.

٨. مما يكون نافعًا وقياسيًّا لا سيما في ضوءِ عدم تمييز المنافقين أحيانًا أن على الأتباع والرعية حال الخلاف واختلاف وجهات النظر، سلوكَ طريق القيادة، ووضع الاحتمال أن يكون من تقصّد تركه من المنافقين إذا احتفّت بذلك قرائن منها سلوكه المتكرر، وألفاظه الخشنة، ومحاولة التخذيل المستمر من عزائم المسلمين، والاستئثار بما يستطيع من القة وأدوات البأس عنهم.

٩. تظهر الشدائد معادن المنافقين الحقيقية حتى صرنا نعرفهم في لحن أفعالهم قبل أقوالهم، ومنه يُستفاد أنه قبل الأيلولة إلى موقف فاصل وحاسم مهم للدولة الإسلامية يُصار إلى اختبارات للولاء واستكشاف المعية الحقيقية؛ بفتح معسكرات للتدريب، أو مطالبة أعيان المنافقين "المحتملين" بالإنفاق، ودعوتهم لمشاركة أبنائهم، ونحو ذلك من الأمور التي تجعل السياق للحرب في نطاقها محكمًا.

١٠.فيه فضح للعقلية المادية المسيطرة على المنافقين؛ فهم منتمون للدنيا بكليتهم، ولا يعطون للدين إلا الفتات الذي يحاولون به صرف الأنظار عن طبيعتهم وحقيقتهم، لا سيما وهم يبالغون في إظهار منّهم وإنفاقهم، ويحرصون على التنويه والإشادة بهم.

- **المبحث الخامس: موقف المنافقين في غزو يهود بني النضير:**

ساند المنافقون إخوانهم اليهود في غزوة بني النضير وحرضوهم على عدم الاستجابة لشروط

---

(٢٦) سنن أبي داود: ٤٨٨٠/٢٧٠/٤، رواته ثقات غير سعيد بن عبد الله بن جريج صدوق، وأبو بكر بن عياش حديثه شامي، فإسناده حسن والله أعلم.

المسلمين وعدم الخروج من المدينة، بل وتحريضهم على القتال، ووعدوهم بأنهم سيقفون معهم ضد المسلمين، قال جل ذكره: **[أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ]** {الحشر:١١}، وسورة الحشر نزلت في إجلاء بني النضي[٢٧]، وقال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: ألم تنظر بعين قلبك يا محمد، فترى إلى الذين نافقوا وهم فيما ذُكر ابن سلول، ووديعة ومالك، ابنا نوفل، وسُوَيد وداعس، بَعَثوا إلى بني النضير حين نزل بهم رسول الله – صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم– للحرب أن اثبتُوا وتمنَّعوا، فإنا لن نسلمكم، وإن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن خرجتم، خرجنا معكم، فتربصوا لذلك من نصرهم، فلم يفعلوا[٢٨]، وقال ابن إسحاق: وَقَدْ كَانَ رَهْطٌ مِنْ بَنِي عَوْفِ بْنِ الْخَزْرَجِ، مِنْهُمْ عَدُوُّ اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيّ ابْنِ سَلُولَ، ووَدِيعَةُ وَمَالِكُ بْنُ أَبِي قَوْقَلٍ، وَسُوَيْدُ وَدَاعِسٌ، قَدْ بَعَثُوا إلَى بَنِي النَّضِيرِ: أَنْ اُثْبُتُوا وَتَمَنَّعُوا، فَإِنَّا لَنْ نُسَلِّمَكُمْ، إنْ قُوتِلْتُمْ قَاتَلْنَا مَعَكُمْ، وَإِنْ أُخْرِجْتُمْ خَرَجْنَا مَعَكُمْ، فَتَرَبَّصُوا ذَلِكَ مِنْ نَصْرِهِمْ، فَلَمْ يَفْعَلُوا...[٢٩] وروى الطبري عن ابن عباس، قوله: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا) يعني ابن سلول وأصحابه، ومن كان منهم على مثل أمرهم[٣٠].

الفوائد والعبر:

الأمر هنا أصعب من غزوة بني قينقاع حيث أنه في قينقاع تولاهم ابن سلول وعمل على إجلائهم بسلام، وأما في هذه الغزوة فالأمر أخطر وأوضح في ولاء المنافقين لأعداء الله اليهود، حيث أن المنافقين أرسلوا إليهم أننا معكم ولن نترككم إن خرجتم، ولن نتخلى عنكم إن قوتلتم ولكنهم كذابون فهؤلاء أقل من أن ينفعوا أنفسهم فكيف ينفعوا غيرهم، بل هم على استعداد أن يستخدموا شتى الوسائل من أجل الحفاظ على حلفائهم.

وإن نعجب من موقف بني النضير فلأنهم بلغوا من البلادة والحمق وظاهرية التفكير مدى لم يجعلهم

---

(٢٧) انظر: صحيح البخاري: ٤٨٨٢/١٤٧/٦.

(٢٨) تفسير الطبري: ٢٨٩/٢٣، من مرسل يزيد بن رومان.

(٢٩) سيرة ابن هشام: ١٩١/٢، عن ابن إسحاق بدون إسناد.

(٣٠) تفسير الطبري: ٢٨٩/٢٣، ٢٩٠. وإسناده ضعيف فيه راوٍ مجهول هو: محمد بن أبي محمد، وابن إسحاق لم يصرح بالسماع، وقد جاء عن مجاهد مثله من مراسيله ورواته ثقات، وبهذه المتابعة تتقوى طرق هذا الخبر والله أعلم، ويؤيد هذا الرأي جمهور المفسرين. (انظر تفسير مجاهد: ٦٥٣).

يروزون الأمر ويقيسونه بواقع الضعف والكذب وخذلان بني قينقاع قبلهم، وأن اليهود الكافرين والمنافقين بعضهم أولياء بعض، إلا أن الواقع أكبر معلم أن المنافقين بلغت بهم سفالتهم وانحطاطهم أنهم يغرون حتى أولياءهم بألسنتهم، لكنهم في ميادين الجدّ أجبن من نعامة، بل يريدون الفوز بمرادهم عبر امتطاء غيرهم، فهم وصوليّون انتهازيّون.

- **المبحث السادس: موقف المنافقين في غزوة بني المصطلق:**

لقد حقق الجيش المؤمن انتصاراً مهماً في تاريخ الدعوة الإسلامية على بني المصطلق، عندئذٍ اغتاظ المنافقون وبدأوا بكيد المؤامرات ضد هذا الجيش –الذين هم جزء منه– حتى ينغصوا عليهم فرحة الانتصار فكان لهم مواقف مخزية في هذه الغزوة؛ وصدق الله العظيم إذ قال فيهم: **[إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا]** {آل عمران:١٢٠}، وكانت مواقفهم على النحو التالي:

أولاً: التحريض على عدم الإنفاق على الجيش: حرَّض المنافقون الناس وأهل المدينة على عدم الإنفاق على الجيش حتى يتفرقوا، إذ أن بقاء الصحابة حول النبي –صلى الله عليه وسلم– يمثل وحدةً وقوةً لهذا الجيش ، وهنا يريد رأس النفاق ابن سلول أن يفرق قوة هذا الجيش العظيم، وقد أثبت القرآن العظيم عبارة ابن سلول كما هي في سورة المنافقين **[هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ]** {المنافقون:٧}، وقالوا أيضاً –من غيظهم– كما أخبرنا الله عنهم **[يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ]** {المنافقون:٨}.

يقول زيد بن أرقم: كُنْتُ فِي غَزَاةٍ[٣١] فَسَمِعْتُ ابْنَ سلول، يَقُولُ: لاَ تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلَئِنْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ سلول، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَدَّقَهُ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي البَيْتِ، فَقَالَ لِي عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَقَتَكَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: **[إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ]** {المنافقون:١}، فَبَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

(٣١) قال القسطلاني: هي غزوة تبوك كما عند النسائي، وعند أهل المغازي أنها غزوة بني المصطلق ورجحه ابن كثير بدليل أن ابن سلول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك، إرشاد الساري (٧/ ٣٨٤)، وروى الطحاوي أنها غزوة بني المصطلق (شرح مشكل الآثار ١٥/ ٥٨٨٦/١١٩)، وقَالَ سُفْيَانُ الثوري: يَرَوْنَ أَنَّهَا غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ (سنن الترمذي ٥/ ٣٣١٥/٢٧٤).

وَسَلَّمَ– فَقَرَأَ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ»(٣٢).

ثانياً: التفريق بين المؤمنين: لإيقاع القتال بين المهاجرين والأنصار وذلك لتشتيت قوة المجتمع المسلم وجبهته الداخلية وهذا أمرٌ في غاية الخطورة، فعن سيدنا جابر بن عبد الله – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –، يَقُولُ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا، وَكَانَ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ، فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا، فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا، وَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: " مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ؟ ثُمَّ قَالَ: مَا شَأْنُهُمْ" فَأُخْبِرَ بِكَسْعَةِ المُهَاجِرِيِّ الأَنْصَارِيَّ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ» وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ: أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا، لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ: أَلاَ نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الخَبِيثَ؟ لِعَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»(٣٣)، لقد استغل ابن سلول هذا الموقف ليشعل ناراً للحرب بين المجتمع المسلم وقد أطفأها رسول الله– عليه السلام.

وهنا لا بد من ذكر موقف عظيم من مواقف المؤمنين الصادقين وهو الصحابي الجليل عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول حيث لأبيه: "والله لا تدخل المدينة أبدا حتى تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعز وأنا الأذل"، قال: وجاء إلى النبي –صلى الله عليه وسلم فقال: "يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد أن تقتل أبي، فوالذي بعثك بالحق ما تأملت وجهه قط هيبة له، وإن شئت أن آتيك برأسه، أتيتك، فإني أكره أن أرى قاتل أبي"(٣٤).

ثالثاً: الطعن في عرض رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: لما أفلس المنافقون عن كل محاولاتهم

---

(٣٢) صحيح البخاري: ٤٩٠٠/١٥٢/٦.

(٣٣) صحيح البخاري: ٤٩٠٥/١٥٤/٦، وقد ظن البعض أنها في غزوة تبوك ولكنها في غزوة بني المصطلق قال ابن حجر: ثم إن المهاجرين كثروا بعد هذا مما يؤيد تقدم القصة ويوضح وهم من قال إنها كانت بتبوك لأن المهاجرين حينئذ كانوا كثيرا جدا وقد انضافت إليهم مسلمة الفتح في غزوة تبوك فكانوا حينئذ أكثر من الأنصار (فتح الباري: ٦٥٠/٨)، وقال الدكتور العمري: قد وردت روايات صحيحة تؤيد أن ابن سلول قال هذا في تبوك وهذا وهم فالراجح أنه لم يشهد تبوك (السيرة النبوية الصحيحة: ٤٠٩/٢).

(٣٤) مسند الحميدي: ١٢٧٦/٣٢٨/٢، رواته ثقات، غير أن أبا هارون المدني موسى بن أبي عيسى الحنَّاط أرسله عن عبد الله بن عبد الله بن أبي سلول حيث أنه من الطبقة السادسة، وعبد الله من الصحابة استشهد يوم اليمامة في سنة إحدى عشر الهجرية. (انظر ثقات ابن حبان: ٢٤٤/٣).

في الخذلان، والتفريق بين المجتمع الواحد، لجئوا لأسلوب قذر من أساليبهم وهو تشويه رأس الأمر لكن بكل حنكة ودهاء فهم لم يشوهوا شخص رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بل عمدوا إلى الطعن في عرضه في زوجه وابنة وزيره الأعظم أبو بكر الصديق –رضوان الله عليهم– مستغلين موقفاً حقيقياً، حيث كانت القرعة لعائشة في السفر مع رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– في هذه الغزوة [المريسيع، أو بني المصطلق][٣٥] وذلك بَعْدَمَا نَزَلَ الحِجَابُ، فكانت تحمل فِي الهَوْدَجِ[٣٦]، وفي أثناء العودة إلى المدينة سقط عقد لعائشة فبحثت عنه خلف الجيش فحملوا الهودج، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنّها فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا، لَمْ يُثْقِلْهُنَّ اللَّحْمُ، فَلَمْ يَنتبه القَوْمُ خِفَّةَ الهَوْدَجِ حِينَ رَفَعُوهُ، وَكُانت جَارِيَةٌ حَدِيثَة السِّنِّ فَبَعَثُوا الجَمَلَ وَسَارُوا، فَوَجَدْت العقد بَعْدَمَا اسْتَمَرَّ الجَيْشُ فلما وصلت المكان الذي استراح فيه الجيش أخيراً فليس به أحد، أقامت مكانها، لأن الجيش سيفتقدها ويرجع إلى المكان الأول، فَبَيْنَا هي جَالِسَةٌ نعست فنامت، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ المُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ يتفقد مِنْ وَرَاءِ الجَيْشِ، فَأَدْلَجَ فَأَصْبَحَ عِنْدَها، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَى عائشة فَعَرَفَها حِينَ رَأها، وَكَانَ رَأها قَبْلَ الحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظَتْ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَها فَخَمَّرْتْ وَجْهها بِجِلْبَابِها، وَوَاللَّهِ مَا كَلَّمَها كَلِمَةً وَلاَ سَمِعْتْ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ عَلَى يَدَيْهَا فَرَكِبتْهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ الرَّاحِلَةَ، حَتَّى أَتَيْا الجَيْشَ عند الظَّهِيرَةِ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الإِفْكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ ابْنَ سَلُولَ، فَقَدِمْوا المَدِينَةَ، فمرضت عائشة شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْكِ، لاَ تشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وكانت لاَ تعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللُّطْفَ الَّذِي كانت تراه حين تمرض، إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيها رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تِيكُمْ؟» ثُمَّ يَنْصَرِفُ، فَذَاكَ الَّذِي يَرِيبُها وَلاَ تشْعُرُ بِالشَّرِّ حَتَّى خَرَجْت بَعْدَمَا نَقَهْتُ، فَخَرَجَتْ مَعها أُمُّ مِسْطَحٍ لقضاء حاجتها، فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا، فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ، فقالت عائشة لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟ قَالَتْ: أَيْ هَنْتَاهْ أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قَالَتْ:وَمَا قَالَ؟ فَأَخْبَرَتْها أم مسطح بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ، فزاد مَرَضها، فَلَمَّا رَجَعْت إِلَى بَيْتِها أتاها النبي –صلى الله عليه وسلم– ووالديها ونزلت براءتها إلى يوم القيامة[٣٧].

---

(٣٥) انظر: مسند البزار: ٨٠١١/٣٣٤/١٤، المعجم الكبير: ١٤٥/٩٧/٢٣.

(٣٦) الهودج: من مراكب النساء مقبب وغير مقبب، وفي المحكم: يصنع من العصي ثم يجعل فوقه الخشب فيقبب. لسان العرب(٢/ ٣٨٩)، أي هو الصندوق الذي يوضع على ظهر الإبل لتجلس فيه النساء.

(٣٧) صحيح البخاري: ٤٧٥٠/١٠١/٦.

الفوائد والعبر:

١.إن المنافقين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف وذلك في تحريضهم على عدم الإنفاق على المسلمين قال تعالى: **[المُنَافِقُونَ وَالمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ المُنَافِقِينَ هُمُ الفَاسِقُونَ]** {التوبة:٦٧} .

٢.محاولة المنافقين تشتيت القوة التي تتجمع حول القيادة الإسلامية.

٣.محاولة المنافقين إثارة الفتن الطائفية بين فئات المجتمع المختلفة.

٤.إن المنافقين يغتاظون لأي فرحة أو نصر للمؤمنين فيحاولوا بشتى الطرق أن ينغصوا عليهم هذه الفرحة؛ قال تعالى: **[إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا ..]** {آل عمران:١٢٠}.

٥.فيه تطاول المنافقين على قيادة الدعوة الإسلامية مما يظهر حقدهم وغلهم الدفين على الإسلام والمسلمين فهؤلاء في قلوبهم مرض من الإسلام وليس من المسلمين.

٦.فيه محاولة القيادة الإسلامية التعامل مع فتن المنافقين بحكمة وعدم الانجرار إليها، ومحاولة إطفاء نار هذه الفتنة.

٧.فيه ولاء المؤمن لله ورسوله والمؤمنين وتبرئه مما سوى ذلك من النفاق والشرك ولو كان أقرب الناس إليه كما طلب سيدنا عبد الله بن عبد الله بن أبي من النبي– صلى الله عليه وسلم– قتل أبيه.

٨.فيه طعن المنافقين في عرض وشرف المسلمين كذباً وبهتاناً وخاصةً القيادة المسلمة ليشككوا في نزاهتها ويضعفوا من تأثيرها في الصف المسلم وبالتالي يصيب المجتمع الضعف والتفكك.

٩.فيه صبر المؤمن على أذى المنافقين واتهامهم الباطل حتى يأتي الله بالفرج.

١٠. يستخدم المنافقون المال أداةً لفضّ الفقراء والمعوزين الذين ينفق عليهم النبيُّ من عنده، ولا يندفعون في ذلك من باب أنهم يشترون ذممهم، لا بل هم يوصون المنفقين بعدم إعطاء قدرتهم بنفس راضية، وهذا ضربٌ لثلاثة غربان بحجر واحد؛ تجفيف منابع القوة المالية في الدولة الإسلامية، وإضعاف الروح المعنوية لأصحاب رؤوس الأموال بجعلهم غير منتمين لها، وسحب الطاقة والقدرة تلقائيًّا من الفقراء؛ لأن من لا يملك قوت عياله لا يفكر بمصالح الدولة والمسلمين، ويكون انتماؤه ضعيفًا فضلا عن اختلال تلقائي لميزان أولوياته.

١١. يحاول المنافقون إلباس كل ما يصدر عنهم من انحرافات وانحطاط لباس الموضوعية، ويقومون

بتكبير الأخطاء العارضة، والتحدث بمنطق "هلك المسلمون"، و"الفساد عمّ"، و"البلاء انتشر"، ثم يمسكون هذه العناوين ويجعلونها في إطار التفرقة بين المسلمين في دولتهم، ويستخدمون لذلك مواقف حقيقية أحيانًا كحادثة: كسْع المهاجريّ أخاه الأنصاريَّ، أو إشاعة الفاحشة بين المؤمنين: كقاصمة الإفك دون أدنى خجل.

١٢. في موقف عبد الله بن عبد الله، إظهار الانتماء الحقيقي للدولة الإسلامية وقائدها والمسلمين، وفيها إشارة لنا لا سيما ونحن شعب محتلّ؛ أنه قد يقع في براثن الاحتلال عمالةً لهم وتخابرًا معهم بعضُ الناس الذين قد تؤدي بعض تقاريرهم إلى قتل ناس أو تضييع مصالحهم، لكن لا يجوز أن يُصار إلى نظرة سلبية لأبناء المتخابر الذي نافق أعداءنا ومالأهم علينا، ليس لأنه قد يخرج الحيُّ من الميت وأن لا ذنب له بما جنته يدا أبيه، بل لأننا كذلك غير مستعدين لإهدار طاقات إذا احتضنّاها حصّنّا جبهتنا الداخلية، وأكدنا معاني الانتماء عند هؤلاء الكرام؛ إذ لا تزر وازرة وزر أخرى، وإذا أشيع هذا ثقافةً في المجتمع لم يستشعر أبناءُ المتخابرين احتقارًا ذاتيًّا، وكانت رؤوسهم مرفوعةً، وقدموا لنا حصنا منيعًا دون تسوّر الأعداء.

١٣. في موقف عبد الله بن عبد الله عزة المسلم وصدق الانتماء، إلا أنه كذلك في المقابل مدرسةٌ في المبادرة والمسارعة في التواصل مع القيادة إذا رأى ما يريبه؛ بل استعد بين يدي النبي أن يقدم له نفسِه رأسَ أبيه إن شاء، وكان صريحًا في ذلك أنه لا يريد أن يكون "قاتل أبيه" سببًا في إثارة حميته وعصبيته إذا رآه، فيكون إذا لم يحتمل قد قتل مسلمًا بكافر، وهذا التنفيس عن الشعور واستخراج رأي القيادة من شأنه أن يحافظ على التوازن النفسي لصاحبه، ويجعله عائدًا بخيرات كثيرة وجليلة.

١٤. يستخدم المنافقون المال أداةً لفضّ الفقراء والمعوزين الذين ينفق عليهم النبيُّ من عنده، ولا يندفعون في ذلك من باب أنهم يشترون ذممهم، لا بل هم يحرضون المتصدقين على عدم إعطاء قدرتهم بنفس راضية، وهذا ضربٌ لثلاثة غربان بحجر واحد؛ تجفيف منابع القوة المالية في الدولة الإسلامية، وإضعاف الروح المعنوية لأصحاب رؤوس الأموال بجعلهم غير منتمين لها، وسحب الطاقة والقدرة تلقائيًّا من الفقراء؛ لأن من لا يملك قوت عياله لا يفكر بدولته ولا قضيته، ويكون انتماؤه ضعيفًا.

- **المبحث السابع: موقف المنافقين في غزوة الأحزاب:**

إن القرآن الكريم فصل كثيراً في غزوة الأحزاب حتى نزلت سورة باسمها لما لها من أهمية كبيرة،

ودروس وعبر مستفادة من هذه الغزوة، وقد فصل القرآن الكريم في موقف المنافقين في هذه الغزوة، ولا سبيل لفهم أحداث غزوة الأحزاب إلا بالرجوع إلى هذه السورة وإمعان النظر في آياتها.

أولاً: عدم الثقة بنصر الله: إن المنافقين لا يثقون بنصر الله للمؤمنين، حتى لو وعد بذلك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نفسه فعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ، فاعترضتنا صَخْرَةٌ فِي مَكَانٍ مِنَ الخَنْدَقِ، لَا تَأْخُذُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ، قَالَ: فَشَكَوْنا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووَضَعَ ثَوْبَهُ ثُمَّ هَبَطَ إِلَى الصَّخْرَةِ، فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ فَقَالَ: " بِسْمِ اللهِ " فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ، وَقَالَ:" اللهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا ". ثُمَّ قَالَ:" بِسْمِ اللهِ" وَضَرَبَ أُخْرَى فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ فَقَالَ: " اللهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ الْمَدَائِنَ، وَأُبْصِرُ قَصْرَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا " ثُمَّ قَالَ: "بِسْمِ اللهِ" وَضَرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ فَقَالَ: " اللهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا"(٣٨)، فهذه بشارة للمؤمنين بنصر الله فعندئذ يقول المؤمنون **[هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا** وَتَسْلِيمًا] {الأحزاب:٢٢} أما المنافقون فكانوا يشككون بتحقق نصر الله فأخبرنا الله عنهم

---

(٣٨) مسند أحمد: ١٨٦٩٤/٣٦٣/٣٠، ذكر الحافظ ابن حجر قصة ضرب النبي الصخرة من حديث جابر بنحوه، وقد أخرجه الدارمي: ٤٣/١٨٤/١، بسند ضعيف"، قال ابن حجر: وقد وقع عند أحمد والنسائي في هذه القصة زيادة بإسناد حسن من حديث البراء بن عازب (فتح الباري: ٣٩٧/٧)، فحسن ابن حجر هذه القصة، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف لضعف ميمون أبي عبد الله البصري، قال عنه أحمد: أحاديثه مناكير، وقال عنه ابن معين: لا شيء، وقال أبو داود: تكلم فيه، وذكره ابن حبان في "الثقات" وقال: كان يحيى القطان سيّئ الرأي فيه، وقال النسائي وأبو أحمد الحاكم: ليس بالقوي، وقال ابن المديني: سألت يحيى بنَ سعيد عن ميمون أبي عبد الله الذي روى عنه عوف، فحمَّض وجهه وقال: زعم شعبة أنه كان فَسْلاً. قلنا: ومع ذلك حسَّن ابن حجر إسناده في "الفتح" ٣٩٧/٧! وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين، وعوف: هو ابن أبي جميلة الأعرابي.

وأخرجه النسائي في "الكبرى" (٨٨٥٨/١٣٤/٨) ، وأبو يعلى (١٦٨٥/٢٤٤/٣) من طريقين عن عوف، بهذا الإسناد. وأورده ابن كثير في "السيرة النبوية" ١٩٤/٣-١٩٥، وقال: وهذا حديث غريب، تفرد به ميمون بن أَستاذ، وأورده الهيثمي في "المجمع" ١٣٠/٦- ١٣١، وقال: رواه أحمد، وفيه ميمون أبو عبد الله، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات. قلت: وله أصل في الصحيح من حديث جابر عند البخاري (٤١٠١/١٠٨/٥) ، وفيه: "فأخذ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المِعْوَل، فضرب في الكُدْية، فعاد كثيباً ...= =وليس فيه الزيادة التي في رواية أحمد. قلت: وللخبر أصل في القرآن الكريم في سورة الأحزاب، وفي صحيح البخاري كذلك.

فقال: **[وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا]** {الأحزاب:١٢} وأخرج الطبري عن قتادة قوله: (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُورًا) قال: "قال ذلك أُناس من المنافقين، قد كان محمد يعدنا فتح فارس والروم، وقد حصرنا هاهنا، حتى ما يستطيع أحدنا أن يبرز لحاجته، ما وعدنا الله ورسوله إلا غُرُورًا"، ثم قال الطبري: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، قال: قال رجل يوم الأحزاب لرجل من صحابة النبيّ صلى الله عليه وسلم: يا فلان أرأيت إذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلا كِسْرَى بَعْدَهُ، والَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُما في سَبِيلِ اللهِ" فأين هذا من هذا، وأحدنا لا يستطيع أن يخرج يبول من الخوف (ما وَعَدَنا اللهُ وَرَسُولُهُ إلا غُرُورا)[٣٩]، كيف يستيقن هؤلاء بنصر وإيمانهم بألسنتهم لم يدخل في قلوبهم، قال الحافظ ابن كثير: يقول الله تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ ذَلِكَ الْحَالِ حِينَ نَزَلَتِ الْأَحْزَابُ حَوْلَ الْمَدِينَةِ، وَالْمُسْلِمُونَ مَحْصُورُونَ فِي غَايَةِ الْجُهْدِ وَالضِّيقِ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، أَنَّهُمُ ابْتُلُوا وَاخْتُبِرُوا وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا، فَحِينَئِذٍ ظَهَرَ النِّفَاقُ، وَتَكَلَّمَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً أَمَّا الْمُنَافِقُ فَنَجَمَ نِفَاقُهُ، وَالَّذِي فِي قَلْبِهِ شُبْهَةٌ لضعف حَالُهُ فَتَنَفَّسَ بِمَا يَجِدُهُ مِنَ الْوَسْوَاسِ فِي نَفْسِهِ لِضَعْفِ إِيمَانِهِ وَشِدَّةِ مَا هُوَ فِيهِ مِنْ ضِيقِ الْحَالِ [٤٠].

ثانياً: تثبيط المسلمين عن القتال وتشجيعهم على القعود: يصاحب ذلك الشح في الإنفاق، والتسلط على المؤمنين بألسنةٍ حداد، قال تعالى: **[وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا]** {الأحزاب:١٣} قال الإمام الطبري: وإذ قال بعضهم – أي المنافقون–: يا أهل يثرب لا مكان لكم،

---

(٣٩) تفسير الطبري: ٢٢٣/٢٠، وقتادة بن دعامة حديثه منقطع وهو إمام ثقة، وابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف وهو من أتباع التابعين (تقريب التهذيب: ٣٤٠)، ومع ذلك يمكن الاستفادة منه من وجهين: الأول: أنه يوافق الآية الكريمة في قوله تعالى: (غروراً)، والثاني: أن هذا الخبر لم يُصَرَّح فيه عن اسم المنافق الذي صدر منه هذا القول وإنما بقي على عمومه.

(٤٠) تفسير ابن كثير: ٣٤٨/٦, قال الباحث: نكتفي في هذه القصة بالآية الكريمة وتفسيرها؛ أما الرواية التي جاءت في سبب نزول هذه الآية فهي موضوعة مكذوبة، وقد أخرجها البيهقي (دلائل النبوة: ٤١٨/٣) ومداره على كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف بن زيد المزني، قال الشافعي: رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْكَذِبِ (تاريخ الإسلام: ٤٨٥/٤) وقال أبو داود: كذاب، وقال الذهبي: واه (١٤٥/٢).

تقومون فيه، فارجعوا إلى منازلكم، أمروهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والفرار منه [٤١] ، وقال جل ذكره: **[أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا]** {الأحزاب:١٩} .

الفوائد والعبر:

١.فيه عدم ثقة المنافقين بنصر الله؛ فقد أكلتهم المادية ودخلت عليهم نواحيهم، وكانت عدم الثقة انعكاسًا لعدم إيمانهم بالضرورة بالغيب، وفي هذا اتهام مباشر لله جلّ وعلا في قدرته المطلقة على نصر المسلمين ما التزموا سبيله وأخذوا الأسباب.

٢.فيه عدم تصديق المنافقين بوعد الله؛ فهم أقرب إلى أعدائنا من ربنا سبحانه والقيادة المسلمة، ومع ذلك تظهر ألسنتهم خلاف ذلك، ويأبى الله إلا أن يفضحهم بلغة عيونهم وفلتات كلماتهم.

٣.فيه تثبيط المنافقين الصف المؤمن عن الخروج للجهاد في سبيل الله؛ إذ لا يكتفون بسلبيتهم وأنهم طاقات معطَّلة بل يريدون أن يكون قوة معطِّلة للعاملين الكادّين من المسلمين، ومظهر ذلك أنهم يزعمون بألسنتهم أن هذا الخطاب المنافق منهم ما هو إلا بدعوى الخوف على المسلمين والحرص على ما ينفعهم ويبعد الشر عنهم، ولهذا ترى أن بعض المسلمين ينسجمون مع روايتهم دون بصر لخطتهم ودون قصد منهم.

٤.المؤمنون باقون على الحق وثابتون على المبادئ ولا يضرهم كلام المنافقين ولا ينال من عزائمهم، وأثبت من يبقى على هذا الخط منهم من يكون دائم المجيء والمتابعة للقيادة المسلمة الراشدة ومشاهير قيادات المسلمين وأعيانهم، فهذا من شأنه أن يمثل تطعيما داخليا لأفكارهم، وتنقية حقيقة لجراثيم النفاق وقايةً وابتعادًا.

٥.فيه بيان أن المنافقين يؤمنون بألسنتهم ولم يدخل الإيمان في قلوبهم، وأن الزمن كفيل بأن يكشفهم ويظهرهم على حقيقتهم.

٦.فيه أن المنافقين جبناء لا يقدرون على مواجهة أعداء الإسلام، من أين تأتيهم الجرأة وقد خلت قلوبهم من ذكر الله ومن القرآن ومن الطاعات.

٧.يلاحظ من بثهم الشائعات في الأحزاب والتخذيل في عزائم المسلمين أنهم يستهدفون قاعدة

---

(٤١) تفسير الطبري: ٢٢٤/٢٠، وسبب النزول سبق الكلام عليه في رواية البيهقي.

الأتباع، ويلبّسون عليهم الأمور حتى لا يميزوا بين الحق والباطل، وهو ما من شأنه أن يزعزع الثقة في القيادة.

٨. إن المناقين أرضٌ خصبة للاشتعال والانفعال مع الفتنة، وأنهم يحبون الحياة ولو مع الذل والمهانة والخيانة، وهم لذا يفرون من الموت بحثًا عن متاع زائل، وعندهم ثقة منعدمة بالله وبذواتهم، وعندهم سوء فكر وتقدير وتناقض عقلي بما زعمت لهم شياطينهم ونفوسهم الأمّارة بالانحطاط النفسي بأنهم يمكن أن يجدوا مكانًا يعتصمون فيه من الله تعالى، كما أنهم أهل خِذلان وإعاقة داخلية، ولا يذهبون تلبية لداعي الجهاد إلا بما يبعد عنهم العيون والملاحقة، وهم يتربصون أثناء ذلك تلبسًا بأي دعوى للفرار، وفي المقابل هم شحيحون يدًا ولسانًا، وخبيثون قلبًا ووجدانًا في تعاملهم مع المسلمين، كما أنه يتضح عليهم شدة الخوف، خصوصًا مع الكريهة والحرب، فكأن الموت نازلٌ بهم ويدافعون كرباته ويعالجون سكراته، أما في اجتماعاتهم الخاصة فهم يسلقون المسلمين وقيادتهم بألسنة حادّة سافلة تظهر عميق حقدهم الدفين، وهم أهل أعذار واستعذار.

- **المبحث الثامن: موقف المنافقين في غزوة تبوك**

تعد غزوة تبوك أو جيش العسرة آخر غزوة غزاها النبي –صلى الله عليه وسلم– فكانت ظروفها صعبةً جداً، وقد وقعت في شهر رجب صيف سنة (٩ هـ) [٤٢] ، فكانت بمثابة اختبارٍ اجتازه أهل الإيمان والتقوى، وكانت للمنافقين والذين في قلوبهم مرض فيها مواقف مخزية، وقد فضح الله أمرهم في سورة التوبة التي سميت بالفاضحة [٤٣] قال تعالى: **[يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ]** {التوبة:٦٤} .

أولاً: إرصاد الكفار وإيوائهم والتفريق بين المؤمنين: وذلك ببناء مسجد الضرار قال عز وجل: **[وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ ...]** {التوبة:١٠٧}، أخرج الطبري عن ابن عباس أنهم أناس من الأنصار ابتنوا مسجدًا، فقال لهم أبو عامر الراهب: "ابنوا مسجدكم، واستعدُّوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح، فإني ذاهب إلى قيصر

---

(٤٢) سيرة ابن هشام: ٥١٥/٢، وانظر السيرة النبوية الصحيحة للعمري: ٥٢٢/١.

(٤٣) انظر تفسير الطبري: ٥٤٢/١١.

دلائل النبوة للبيهقي مخرجا (٥/ ٢٦٢)

أَخْبَرَنَا أَبُو زَكَرِيَّاءَ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ الْمُزَكِّي، أَنْبَأَنَا أَبُو الْحَسَنِ الطَّرَائِفِيُّ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ

ملك الروم، فأتي بجند من الروم، فأخرج محمدًا وأصحابه! فلما فرغوا من مسجدهم، أتوا النبي –عليه الصلاة والسلام– فقالوا: قد فرغنا من بناء مسجدنا، فنحبُّ أن تصلي فيه، وتدعو لنا بالبركة! فأنزل الله فيه: (لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ)، إلى قوله: (وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)(٤٤)، ومن أحسن ما قرأت في هذه القصة تعقيب الحافظ ابن رجب حيث قال: ومنْ أعظم خصالِ النفاقِ العمليّ: أن يعملَ الإنسانُ عملًا، ويُظهِرُ أنّه قصدَ به الخيرَ، وإنَّما عملهُ ليتوصَّل به إلى غرضٍ له سيّئ فيتمَّ له ذلك، ويتوصَّلُ بهذه الخديعة إلى غرضِهِ، ويفرحُ بمكرِه وخِداعِهِ وحَمدِ النَّاسِ له على ما أظهرَهُ، وتوصَّل به إلى غرضِهِ السيّئ الذي أبطنه، وهذا قد حكاهُ اللَّهُ في القرآنِ عن المنافقينَ أنَّهُم:(الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا..... الآية(٤٥).

ثانيًا: الشح والبخل في الإنفاق لتجهيز الجيش: يصاحب ذلك التسلط على المنفقين المتطوعين المكثرين منهم والمقلين بألسنة حداد، وذلك لما فتح النبي –صلى الله عليه وسلم– باب الإنفاق في هذه الغزوة لتجهيز الجيش الذي أطلق عليه جيش العسرة(٤٦) لشح المال، وهل يسير جيش بدون مال ولا عتاد؛ حتى أن الله ربط بين الإعداد للجهاد وبين الإنفاق في سبيل الله فقال جل ثناؤه: **[وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ]** {الأنفال:٦٠} فكان للمنافقين الموقف المخزي وذلك باستهزائهم بالمتصدقين على قلة صدقاتهم أو

---

(٤٤) تفسير الطبري: ١٤/٤٧٠، قال الإمام الطبري: حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: ثَنِي مُعَاوِيَةُ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: **(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا ...)** هم أناس من الأنصار ابتنوا مسجدًا ... وإسناده ضعيف لأن علي بن طلحة القرشي مرسل عن ابن عباس وبينهما مجاهد بن جبر (انظر: المراسيل لابن أبي حاتم: ١٤٠)، ولم يتابع، وباقي رواة الإسناد حديثهم حسن، والمثنى هو ابن إبراهيم الآملي شيخ الطبري وثقه ابن كثير (انظر: معجم شيوخ الطبري: ص ٤٢٠) ومما يدل على بناء مسجد الضرار والنبي – صلى الله عليه وسلم – يجهز جيش تبوك ما أخرجه الطبري عن ابن إسحاق، عن الزهريّ، ويزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم قالوا: أقبل رسول الله –صلى الله عليه وسلم: من تبوك حتى نزل بذي أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار. وكان أصحاب= =مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهّز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله، إنا قد بنينا مسجدًا لذي العلّة والحاجة والليلة المطِيرة والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه .... وإسناده منقطع (تفسير الطبري: ١٤/٤٦٨).

(٤٥) تفسير ابن رجب الحنبلي: ١/٥٢٩.

(٤٦) انظر صحيح البخاري: ٦/٢/٤٤١٥.

حتى على كثرتها فأخبر الله عنهم فقال جل ثناؤه: **[الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ]** {التوبة:٧٩} وأخرج الإمام البخاري عن أبي مسعود الأنصاري البدري قَالَ: " لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ، كُنَّا نُحَامِلُ[٤٧] ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ، فَقَالُوا: مُرَائِي، وَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ، فَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعِ هَذَا، فَنَزَلَتْ: **[الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ...** {التوبة:٧٩}[٤٨]، لم يفقه هؤلاء المنافقون معنى قوله – صلى الله عليه وسلم – (اتقوا النار ولو بشق تمرة) الذي جعله البخاري ترجمة لباب هذا الحديث، الذي له قصة مع أم المؤمنين عائشة حيث تقول: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ، الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **«إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ»**[٤٩]، فلم يفقه المنافقون في كل زمن هذه المقاييس لأنهم لا يؤمنون إلا بالمحسوس كاليهود، وهذا خلل في العقيدة إذ أن المولى عز وجل أثنى على الذين يؤمنون بالغيب في مطلع سورة البقرة حيث قال: **[الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * .... أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ]** {البقرة:٣، ٥}، في المقابل كثير من الصحابة الأطهار سارعوا في الإنفاق لتجهيز هذا الجيش حيث عرف عن سيدنا عثمان – رضي الله عنه – أنه مجهز جيش العسرة حيث قال– صلى الله عليه وسلم– **«مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ»** فجهزه عثمان[٥٠]، وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: جَاءَ عُثْمَانُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَلْفِ دِينَارٍ حِينَ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَنَثَرَهَا فِي حِجْرِهِ. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يُقَلِّبُهَا فِي حِجْرِهِ وَيَقُولُ: **«مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ مَرَّتَيْنِ»**[٥١].

ثالثاً: القعود عن الجهاد والتثاقل عنه: والخلود إلى الأرض، وخذلان النبي –صلى الله عليه وسلم–

---

(٤٧) تحاملت على نَفسِي وَالشَّيْء وَفِيه وَبِه تكلفه على مشقة وإعياء. (المعجم الوسيط: ١٩٩/١).

(٤٨) صحيح البخاري: ١٤١٥/١٠٩/٢.

(٤٩) صحيح مسلم: ٢٦٣٠/٢٠٢٧/٤.

(٥٠) صحيح البخاري: ٢٧٧٨/١٣/٤.

(٥١) سنن الترمذي: ٣٧٠١/٦٢٦/٥، رواته ثقات غير ضمرة بن ربيعة الفلسطيني صدوق يهم، وعبد الله بن القاسم صدوق، وكثير مولى عبد الرحمن بن سمرة من وسطى التابعين مقبول، فالإسناد حسن، وحسنه الأرنؤوط، والألباني.

والمؤمنين، ويرجع عدم خروجهم للغزوة لعدة مبررات، فكان لكل منهم مبرر في عدم المشاركة وذلك على النحو التالي:

١. **الحرارة الشديدة:** أنهم لا يستطيعون النفير في الحر الشديد: قال تعالى: **[فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ]** {التوبة:٨١} ولو تمكن الإيمان في قلوبهم لضحوا بالغالي من أجل هذا الدين العظيم، ومن أجل الآخرة.

٢. **بعد المسافة:** إذ أن تبوك تبعد عن المدينة أكثر من (٧٧٨) ميلًا وهذه مسافة تحتاج إلى أيام وليالي لقطعها فأما أصحاب الإيمان فساروا خلف نبيهم-عليه السلام-، وأما المنافقون فأخبرنا الله عن حالهم فقال: **[لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ...]** {التوبة:٤٢} .

٣. **الخوف من فتنة نساء الروم:** فيقع في الفاحشة ولا يضبط نفسه من شدة جمالهن، قال تعالى: **[وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ...]** {التوبة:٤٩}، قال الطبري: أي لا تبتلني برؤية نساء بني الأصفر وبناتِهم [٥٢] ، ثم أخرج عن ابن إسحاق عن الزهري، ويزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قتادة أن الجد بن قيس قال: يا رسول الله، أوَ تأذن لي ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي ما رَجل أشدّ عُجْبًا بالنساء منّي، وإني أخشى إن رأيت نساءَ بني الأصفر أن أفتتن فنزلت هذه الآية[٥٣].

رابعًا: السخرية من المؤمنين، ومن حملة القرآن: فقالوا: ما لقُرَّائنا هؤلاء أرغبُنا بطونًا وأكذبُنا ألسنةً،

---

(٥٢) تفسير الطبري: ٢٨٦/١٤.

(٥٣) تفسير الطبري: ٢٨٧/١٤، وإسناده ضعيف، حيث لم يصرح ابن إسحاق بالسماع، وكذلك رواه عن عدد من شيوخه من التابعين مرسلاً، وعند الطبراني في الأوسط (٥٦٠٤/٣٧٥/٥) عَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ قَالَ لِجَدِّ بْنِ قَيْسٍ: «يَا جَدُّ بْنَ قَيْسٍ، مَا تَقُولُ فِي مُجَاهَدَةِ بَنِي الْأَصْفَرِ؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي امْرُؤٌ صَاحِبُ نِسَاءٍ، وَمَتَى أَرَى نِسَاءَ بَنِي الْأَصْفَرِ أَفْتَتِنْ، فَأْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} [التوبة: ٤٩] وإسناده ضعيف فيه بشر بن عمارة الخثعمي وهو ضعيف (تقريب التهذيب: ١٢٣)، ويحيي الحماني قال ابن حجر: يسرق الحديث (تقريب التهذيب: ٥٩٣)، ووثقه ابن معين (تحرير التقريب: ٩٢/٤)، وضعف ابن حجر إسناد القصة في (الإصابة: ٥٧٦/١)، وضعفه الهيثمي في (مجمع الزوائد: ١١٠٤١/٣٠/٧)، وهذا الخبر مما لا يتساهل فيه إذا أن فيه تهمة بكبيرة من الكبائر ولا يثبت ذلك بسند مثل هذا.

وأجبُننا عند اللقاء فأنزل الله تعالى قوله: **[وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ]** {التوبة:٦٥}، لما قال أحد المنافقين لعوف بن مالك في غزوة تبوك: ما لقُرَّائنا هؤلاء أرغبُنا بطونًا وأكذبُنا ألسنةً، وأجبُننا عند اللقاء! فقال له عوف: كذبت، ولكنك منافق! لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم! فذهب عوف إلى رسول الله ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه قال زيد قال عبد الله بن عمر: فنظرت إليه متعلقًا بحَقَب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبُهُ الحجارة، يقول: (إنما كنا نخوض ونلعب) ! فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم: (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) ؟ ما يزيده(٥٤).

خامساً: عدة مواقف صدرت من المنافقين في أثناء سير الجيش إلى تبوك: معلوم أنه تخلف عدد من المنافقين عن هذه الغزوة، فأنزل الله ما يواسي به المؤمنين فقال عز وجل: **[وَلَوْ أَرَادُوا الخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ القَاعِدِينَ]** {التوبة:٤٦}، وقال تعالى: **[لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ]** {التوبة:٤٧}، إلا أن عدداً من المنافقين خرجوا في هذه الغزوة ولكن كان لهم دورٌ خبيث في تثبيط الجيش المؤمن.

١. **تعاونهم مع اليهود ضد المؤمنين:** وذلك لما بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ نَاسًا مِنْ الْمُنَافِقِينَ يَجْتَمِعُونَ فِي بَيْتِ سُوَيْلِمٍ الْيَهُودِيّ، يثبطون النَّاسَ عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَبَعَثَ إلَيْهِمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بَيْتَ سُوَيْلِمٍ، فَفَعَلَ طَلْحَةُ(٥٥)، وكان زيد بن اللصيت مشهورًا بالنفاق، وكان حبراً من أحبار يهود بني قينقاع أسلم ثم ظاهر المنافقين، وكان من رجال ابن سلول في غزوة تبوك(٥٦) .

٢. **تشكيك المنافقين في نبوة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم –:** وذلك لما ضلت ناقة النبي – صلى الله عليه وسلم– فَقَالَ زَيْدُ بْنُ اللُّصَيْتِ: وَهُوَ فِي رَحْلِ عُمَارَةَ بن حزم الأنصاري؛ وَعُمَارَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: أَلَيْسَ مُحَمَّدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَيُخْبِرُكُمْ عَنْ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَعُمَارَةُ عِنْدَهُ: إنَّ رَجُلًا قَالَ: هَذَا مُحَمَّدٌ يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ يُخْبِرُكُمْ بِأَمْرِ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ، وَإِنِّي وَاَللَّهِ مَا أَعْلَمُ إلَّا مَا

---

(٥٤) أخرجه الطبري (١٦٩١٢/٣٣٣/١٤) من حديث ابن عمر، ورواته ثقات، وإسناده صحيح، وصححه أحمد شاكر.

(٥٥) سيرة ابن هشام: ٥١٧/٢. بإسناد رواته ثقات.

(٥٦) انظر: سيرة ابن هشام: ٥٢٢/٢.

عَلَّمَنِي اللَّهُ وَقَدْ دَلَّنِي اللَّهُ عَلَيْهَا، وَهِيَ فِي هَذَا الْوَادِي، فِي شِعْبِ كَذَا وَكَذَا، قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا، فَانْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُونِي بِهَا، فَذَهَبُوا، فَجَاءُوا بِهَا(٥٧).

٣. **محاولة المنافقين اغتيال رسول الله – صلى الله عليه وسلم** –: وذلك في أثناء عودة الجيش إلى المدينة أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– الناس أن لا يمروا من العقبة حتى يمر هو لأنه مكان ضيق على منحدر فلما كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يسير في العقبة إذا هاجم موكبه ملثمون أرادوا أن يسقطوه عن الراحلة والمنحدر لولا أن الله عصم نبيه(٥٨)، قلت: ربما يظن البعض أن معنى العقبة أن هناك خلط في الروايات أو يفهم أن العقبة يقصد بها الأولى أو الثانية التي كانت بمكة قبل الهجرة؛ كلا فأصحاب العقبة الأولى والثانية هم عماد الإسلام فكيف يكونون منافقون يريدون قتل نبيهم؛ إنما العقبة هي مكان في طريق العودة من تبوك اجتمع فيها المنافقون للغدر برسول الله –صلى الله عليه وسلم(٥٩)، إلى هذا الحد بلغ الحقد بالمنافقين أنهم تجرأوا على قتل رسول الله– بأبي هو وأمي– كيف نستغرب هذا الفعل من هؤلاء وهم يريدون هدم الإسلام جملةً وعامة.

٤. **الكذب واختلاق الحجج في تبرير تخلفهم عن الجهاد:** وذلك بعد عودة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى المدينة، وقد اختلق كل واحد منهم عذراً ليبيض صفحته أمام النبي –صلى الله عليه وسلم– وقد أخبرنا القرآن الكريم عن هذا الموقف المخزي فقال تعالى: **[يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ]** {التوبة:٩٤} قال الطبري: يعتذر إليكم، هؤلاء المتخلفون التاركون جهاد المشركين معكم، بالأباطيل والكذب، إذا رجعتم إليهم من سفركم وجهادكم قل لهم يا محمد (لا تعتذروا لن نؤمن لكم)، لن نصدِّقكم على ما تقولون (قد نبأنا الله من أخباركم)، فقد أخبرنا الله من أخباركم، وأعلمنا من أمركم ما قد علمنا به كذبَكم (وسيرى الله عملكم ورسوله)، وسيرى الله ورسوله فيما بعدُ عملكم، أتتوبون من نفاقكم، أم تقيمون عليه؟(٦٠)،

---

(٥٧) سيرة ابن هشام: ٥٢٣/٢، بإسناد رواته ثقات، غير ابن إسحاق صدوق يدلس وقد صرح بالسماع فالإسناد حسن لذاته.

(٥٨) أخرجه مسلم مختصرًا (٢٧٧٩/٢١٤٤/٤)، وأحمد في المسند بتمامه (٢٣٧٩٢/٢١٠/٣٩) .

(٥٩) شرح النووي على مسلم: ١٢٦/١٧.

(٦٠) تفسير الطبري: ٤٢٤/١٤.

وقال تعالى: **[سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ]** {التوبة:٩٥}، ولقد وصف الصحابي الجليل كعب بن مالك حال المنافقين عندما جاءوا يعتذرون إلى رسول الله– صلى الله عليه وسلم– بعد الغزوة فقال: لَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَدْ قفل مِنْ تَبُوكَ، فَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ: بِمَ أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا؟ فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وَصَبَّحَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ، ...[٦١]، ونحن لسنا بصدد الحديث عن قصة كعب ولكن شتان بين الفريقين بين الصادق والكاذب.

الفوائد والعبر:

١. لم يتعامل القرآن مع المنافقين في هذه الغزوة كما تعامل معهم في السابق حيث كان يستر عليهم في كل مرةٍ أما في هذه الغزوة ففضحهم وكان مبدأ الحسم إما إيمان وإما كفر.
٢. اتخاذ المنافقين المقرات التي تتخذ للحرب على الإسلام والمسلمين، حتى لو كانت مساجد في نظر الناس.
٣. إن المنافقين يزينوا أعمالهم الخبيثة بالصلاح والتقوى من أجل الوصول إلى أهدافهم الخبيثة، وذلك في بناء المسجد حيث أنه مكان لطاعة الله ومع ذلك اتخذوه مقراً للحرب على الإسلام.
٤. حب المنافق الخلود إلى الدنيا والقعود عن الجهاد في سبيل الله.
٥. إن المنافقين يكثرون من استخدام الأسلوب التبريري وذلك في عدم خروجهم للغزو في سبيل الله؛ مثل بعد المسافة، أو التعب والمشقة، أو الخوف من فتنة النساء.
٦. إن المنافقين يطعنون في نيات المتصدقين والمتبرعين للدعوة الإسلامية أو للجهاد أو لبناء المساجد أو غيرها من الأعمال الصالحة والاستهزاء بهم، وذلك لأنهم هم لا يريدون الإنفاق فيتهمون المنفقين، ونسمع هذا اليوم حيث يقول بعض ضعاف الإيمان بقصد أو بغير قصد أنا لا أريد الصلاة مثلاً لأن المصلين غير ملتزمين بالأخلاق أو يؤذون جيرانهم، والأصل في المؤمن أن يقول أنا أريد أن أصلي وألتزم الأخلاق الحميدة، أنا أريد أن أتصدق بنية التقرب إلى الله.
٧. بيان أن المنافقين لا يؤمنون إلى بالمحسوس كاليهود ولذلك استهزأوا بالذي تصدق بالصاع، وما

(٦١) صحيح مسلم: ٤/٢١٢٠/ ٢٧٦٩.

علموا أن لهذا الأجر العظيم.

٨.اتهام المنافقين للمؤمنين بتهم باطلة مثل الأجبن عند اللقاء، والأكبر بطوناً.

٩.تعاون المنافقين مع اليهود في حرب الإسلام والمسلمين.

١٠. بيان أن بعض المنافقين يشككون في نبوة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم –، واليوم نرى من يشكك في القرآن بأنه لا يصلح للحكم ولا لأن يكون دستوراً للناس، ومنهم من يشكك في السنة فماذا بقي بعد هذا.

١١. بيان أن المنافقين لا يؤمنون حتى لو رأوا الآيات البينات أمام أعينهم كنزول المطر مثلاً.

١٢. من الممكن أن يدبر المنافقون ويقوموا بمحاولات اغتيال ضد القيادة الإسلامية.

١٣. بيان كذب المنافقين على رسول الله وذلك باستخدامهم الأعذار الواهية لعدم خروجهم للغزو في سبيل الله.

١٤. إن المنافقين يكثرون من حلف الأيمان الكاذبة لتبرير أخطائهم.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وعلى نبينا محمد أفضل وأتم الصلوات وعلى آله وأصحابه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فقد تم الانتهاء من هذا البحث الذي جمعت فيه مواقف المنافقين من الدعوة الإسلامية وقد سميته: **(مواقف المنافقين من الدعوة الإسلامية في المدينة– عرض ونقد وتحليل).**

* اقتصرت في هذا البحث على جمع مواقف المنافقين سواء من الغزوات وهي الغالبة، حيث أنك إذا أردت أن تعرف الرجال لا تعرفهم إلا في المواقف الصعبة، أو في الحياة الاجتماعية، ولم أتطرق إلى غير مواقف المنافقين من الأحداث إلا للضرورة، لأن الهدف من البحث هو الجمع الموضوعي وتسليط الضوء على خطورة مواقف المنافقين من الإسلام.

* إن مجمل مواقف المنافقين من الإسلام أنه إذا كان ضعيفاً وقفوا ضده مع أعدائه، وإن كان قوياً دخلوا فيه تقيةً حتى يمزقوه من الداخل.

* ترتيب الأحداث التي وردت ترتيباً زمنيًا بناءً على ما جاء في كتب السيرة إضافة إلى البحث الموضوعي.

* تعرفنا في هذا البحث على الوسائل التي يستخدمها المنافقون للحرب على الإسلام والمسلمين وأنهم هم العدو الحقيقي للإسلام.

* مدى الترابط والتوافق بين المنافقين واليهود في حربهم على المسلمين.

* كيف تعامل النبي– صلى الله عليه وسلم– والقرآن كذلك مع المنافقين في بداية الدعوة وفي السنوات المتأخرة حيث قوي الإسلام فكان هناك فرق كبير؛ إذ أنه في بني قينقاع تولاهم ابن سلول بإذن النبي– صلى الله عليه وسلم– وكيف تعامل معهم القرآن في غزوة تبوك لما فضحهم في سورة التوبة وأمر الله نبيه ألا يقبل أعذارهم، وقد وصفهم بالكذب؛ بل وبالكفر.

* الإكثار من العبر والفوائد حتى يستفاد منها في الواقع الحالي، وحتى يتجنب المسلم أي صفة أو سلوك يصدر عن المنافقين.

قائمة المراجع:

١.الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤١٥ هـ.

٢.البداية والنهاية، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، دار الفكر – دمشق، ١٩٨٦ م.

٣.تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م.

٤.تحرير تقريب التهذيب لابن حجر، تأليف: بشار معروف، وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٥.تفسير الطبري المسمى (جامع البيان في تأويل القرآن)، للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٦.تفسير القرآن العظيم المشهور بتفسير ابن كثير، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ.

٧.تقريب التهذيب، للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد– سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦

هـ- ١٩٨٦م.

٨. دلائل النبوة، للإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: د. عبد المعطي قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة: الأولى - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٩. روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) للإمام زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الناشر: دار العاصمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ - ٢٠٠١ م.

١٠. سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

١١. سنن الترمذي، للإمام محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

١٢. السنن الكبرى، للإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنات، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

١٣. سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، للإمام محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م.

١٤. السِّيرةُ النّبوية - عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث، د. عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

١٥. السيرة النبوية الصحيحة، تأليف: أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة السادسة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

١٦. السيرة النبوية لابن هشام، للإمام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد،

جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر:مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.

١٧. شرح النووي على مسلم المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ هـ.

١٨. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان المسمى (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان)، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣.

١٩. صحيح البخاري المسمى: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، للإمام محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

٢٠. صحيح مسلم المسمى: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢١. فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ هـ ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٢٢. فقه السيرة، للإمام محمد الغزالي السقا (المتوفى: ١٤١٦هـ)، الناشر: دار القلم– دمشق، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ.

٢٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ أبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

٢٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد

الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
٢٥. مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، للإمام أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم– المدينة المنورة، الطبعة: الأولى.
٢٦. مسند الحميدي، للحافظ أبي بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي (المتوفى: ٢١٩هـ)، تحقيق: حسن سليم أسد، الناشر: دار السقا، دمشق– سوريا، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦ م.
٢٧. مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ٢٠٠٠ م.
٢٨. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد, عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة.
٢٩. معجم البلدان، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، دار صادر– بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م.
٣٠. المعجم الكبير، للإمام سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.
٣١. معجم شيوخ الطبري الذين روى عنهم في كتبه المسندة المطبوعة، تأليف: أكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري، الناشر: الدار الأثرية، الأردن– دار ابن عفان– القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ– ٢٠٠٥ م.
٣٢. النهاية في غريب الحديث، للإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى –

مواقف المنافقين من الدعوة الإسلامية...

محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.